على السفود

وللسفود نار لو تلفت بجاحمها حديداً ظن شحما
ويشوى الصخر يبثر كه رماداً فكيف وقدر ميتك فيه لحما؟

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه ! ! !

— ٤ —

يسرنا أن يكون الأدباء والكتاب قد أخذ كل منهم يحاذر جهده أن يكون هو المغفل الذى يشهد للعقاد بانه أديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مزقنا الاعلانات الكبيرة الملونة التى كانت ملصقة على هذا الحائط ! ! ! وبعد أن أريناهم الحائط نفسه طيناً وحجراً ، لا أصباغا ولا ألوانا ، وما هو الا الحائط وما هو الا العقاد

ما من أديب الآن يجسر أن يظن فى هذا العقاد — اذا أبعد فى حسن الظن —

الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلاتها من الاطلاع المتنوع والترجمة ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسى ، ثم الدجـــل العالى الصحافى ! ! ! ! وانتهى

اما العقاد الذى كان تحت الاعلانات . . . فهيهات هيهات وقد كان أول نحسه طرده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلتها تصبغ شيبه ، وتخفى عيبه ، وتجعله (نايبه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة العراق كانوا من المخدوعين به أو فيه أو منه فأرادوا أخذه الى العراق مدرساً للآداب العربية وكادوا يجنونها على الأدب اغتراراً بتزويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيراً أن رأوا العقاد على السفود وتركوه لما به ولولا ذلك لما عرفوه إلا . . . إلا (بعد خراب البصرة) . . . .

ما هو هذا العنصر الكيميائى العجيب الذى يحول كاتب جرائد فى لحنه وعاميته وفساد ذوقه وسقم فهمه وضعف اطلاعه وتهافت ناحيتيه فى النظم والنثر — الى مدرس للآداب العربية العالية فى حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه الحكومة حجر الفلاسفة لتجعل مثل العقاد مدرساً للآداب العربية بقوة الرجم الكيميائى — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد والله كادت تخرب البناء الذى تريد أن تقيمه بغلطتها فى حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنوانا لمقال نشره فى المصور الصادر لذكرى المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال ينفق من نقود أكاذيبه على سعد فهى تسد ناحية من إفلاسه الى زمن طويل على ما نظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا مامعنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على موت سعد ؟ وثانيا مامعنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربى ؟

لا وجه للأولى الا الركاكة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا اللصوصية المتمكنة من نفس العقاد والغالبة على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان فيلجأ الى سرقة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون أنك تفتتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان

---

(١) عدد ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٩ من المصور

صواب الترجمة — ان كان لابد من السرقة حتى فى عنوان !!!! — الزعيم بنفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه. لابد أن يتقدم العبارة الانجليزية توكيد أو بيان لتستقيم عربية المعنى . فقل الآن فى كاتب يسرق حتى العنوان و يعجز فيه أيضاً

قلنا مراراً ان هذا المغرور المتشاعر سقيم الفهم فى العربية وهذه هى علة تعلقه بكلمة الجديد و زعمه انه مجدد كما هى علة أمثاله من الأدباء الملفقين فى عربيتهم وأو ربيتهم على السواء . وهى أيضاً السبب فى تجنب العقاد أن يفسر شيئا من الأدب العربى كما هى السبب فى انحطاط شعره و كتابته . وقد رأينا له فى مجلة الجديد (١) كلمة من تخليطاته عن ابن الرومى « كاد يفسر » . . . . فيها أبياتا لهذا الشاعر فخبط خبط العمياء لا العشواء قال ستره الله باسكاته :

هل ترى هذا الغائص الذى تعلم السباحة ليغوص لا ليسبح !؟ أو ترى هذا الخائف المراقب الذى يمر بالماء فى الكوز مر المجانب ؟ هو ابن الرومى حيث يقول عن نفسه : (أى فى البحر)

و كيف ولو ألقيت فيه وصخرة لوافيت منه القعر أول راسب
ولم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص والمضعوف غير مغالب
فأيسر إشـــفاقى من الماء انى أمر به فى الكوز مر المجانب

انظر ايها القارىء . ابن الرومى يقول : لم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص فيكون معنى هذا أنه « تعلم السباحة » (و تعلمها) « ليغوص لا ليسبح » ؟ ان المعنى الذى يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح و يغوص ولما كان الغوص أيسر العملين لانه لايحتاج لتعلم الخبط فى الماء وشقه والنجاة منه ، فأنا قـــد تعلمت هذا وحده دون السباحة فلا ألقى مع صخرة فى المـاء حتى اسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعرى فاما ان كان « تعلم السباحة » ولـكنه لم يتقنها فـكأنما « تعلمها ليغوص لا ليسبح » فقد فسد بهذا الـكلام الحس الشعرى الدقيق البديع ، وأصبح المعني فى سخافته و ركاكته يشبه شعر العقاد لاشعر ابن الرومى . . . .

وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المفهوم الذى يسره الى الطعام حتى فى الأحلام

---

١ — عدد ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٩

و ياسف على أن يذادعنه وهو فى المنام ؟ هو ابن الرومى بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها حتى منعت مرافق الأحلام
من ذاك أنى ما أرانى طاعما فى النوم او متعرضا لطعام
الا رأيت من الشقاء كأننى أثنى وأكبح دونه بلجام

تأمل (قوى قوى) فى تفسير المغفل ثم فى شعر ابن الرومى وقل لى هل يصف ابن الرومى « شراهته ونهمه وأسفه » أم هو يبالغ بهذا الاسلوب البديع فى ضعة فقره وأنه لهذا الفقر محروم حتى مما هو غنى طبيعى للفقراء لان الفقير متى تعلقت نفسه بشهوة لا يجدها جاءته هذه الشهوة فى أحلامه من عمل نفسه وكان لا بد أن يمكنه وأن ينالها ، وذلك قانون طبيعى كما قرره العلم أخيراً فى أسباب الأحلام وتأويلها بالشهوات الممتنعة أو المنقمعة . و يعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح

فابن الرومى يصف شقاء جده وصفا دقيقا لا يحس به غبى مثل العقاد وفضلا عن أن سياق الشعر لا يؤتى المعنى الذى فهمه هذا الغبى فان هذا المعنى لن يتأتى الا اذا ثبت أن ابن الرومى كان طفيليا ، طفيليا بكل الاوصاف المأثورة عن هذه الطائفة وهذا لم يقل به أحد الا طفيلى الأدب العقاد . ومن العجيب أن لهذه الأبيات بقية تكاد تنطق بأن ابن الرومى لا يريد شراهة ولا طعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بعثار الجد وأن ما يناله الناس بأهون سبيل وأيسر حركة من حركات العاطفة يحرمه هو و يبتلى فيه مع ذلك « بالغرم والاغرام » ، والعقاد مع هذا لا يفهم غرض الشاعر . ألا يرى القراء أن هذه وحدها كافية فى الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة مخه فى وعاء جمجمته قد كتب عليها صيدلى القدرة . . . لا يفهم من الظاهر . . . . . »

وقال غطاه الله . . . أما سخره من غيره فله فى أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة ما يقوم بديوان كامل . و براعته فيه طبقة لا تعلوها طبقة فى نوعها و يندر أن يدانيها فحول الساحرين فى المشرق و المغرب فله فى أحدب كان يضايقه و يترصد له (كذا) أمام داره ليتطير منه :

قصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
و كأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء (وهاتوا معكم رجالا من العراق . . .) لنضحك من هذا

العامى المتشاعر الذى جعل ابن الرومى عاميا مثله يجنح الى لغة ضعيفة فى تأنيث (القفا) ويقول عن الأعم الشائع . ولو كان هذا الشعر على هذه الرواية لكان ضعيفا إذ قوله « صفعت قفاه مرة » يوهم أن هذه (المرة) كانت فى ز من من قبل فيفسد الوصف ويضعف التركيب . ويجب حينئذ أن تكون العبارة : وكأنما ضعفت قفاه صفعة وأحس ثانية لها الخ

وقوله « فكأنه متربص أن يصفعا » من العامية التى لا ينقلها الا عامى مثل العقاد لان التربص باعقاد الجرائد . . . لا يكون الا فى الانتظار الطويل الذى لا بد فيه من مكث و تلبث وبهذه الكلمة يفسد الوصف و يرجع هراء ، فان من ينتظر أن يصفع غدا أو بعد ساعة لا يكون تلك حالة ولا يتجمع

ثم « وطال قذاله » ثالثة الأثافى . فان القذال جماع مؤخر الرأس مما تحت قصاص الشعر أى القفا . فهل الأحدب طويل القفا ؟ وهل اذا قصرت الأخادع و هى كناية عن قصر الرقبة يطول القفا ؟ أم ذاك الأحدب قد استعار قفا العقاد . . . فانخسفت رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) . . . . ما هذه البلادة فى هذا الرجل ؟ خلصينا يا حكومة العراق من عاره على الأدب المصرى وخذيه ولو مدرسا لتلاميذ الشهادة الابتدائية التى لا يحمل غيرها وغير شهادة الجميع له باللصوصية الادبية العليا !!!! ثم البيتان بعد هذا كله ليسا لابن الرومى بل هما مر ويان للامير مجير الدين بن تميم وتحرير الرواية هكذا :

قصرت اخادعه (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفعا

(وكأنه) (قد ذاق أول صفعة) وأحس ثانية لها فتجمعا

هذه هى صفة الأحدب وهكذا يكون الشعر لاذلك التخليط العامى الثقيل المتناقض الذى لا نعجب ان لا يتنبه له (أديب فالصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

---

١ — يصف الشاعر هذا الأحدب فى صورته الجسمية برجل صفع على قفاه صفعة وأحس بيد صافعه ترتفع لتهوى بالصفعة الثانية على قفاه فتجمع أى رفع كتفيه حتى التصقا برأسه لتخفى قذاله فتقع الصفعة على الظهر دون القفا فاذا تجمع ليخفى قذاله فكيف يقال فى هذه الحالة (طال قذاله) ولكن العقاد رجل بليد فى الاداب العربية وايراده البيتين على هذا الشكل دليل قاطع فى أنه ضعيف الفهم والتمييز وأنه لا يصلح لشىء فى الأدب العربى لانه لا هو مطلع ولا هو يفهم ولا هو يحقق وليس هو أكثر من لص عمله النقل بسرعة وهمة على أوتوموبيل أو على عربة كارو أو على حمار أو على ظهره هو . . . .

أرأيت يا عقـاد أنك لست هناك وأنك تدعى الأدب العربى سفاهـا وأنك فى تميزك غبي غبي لا تساوى شيئا الا عند غبي مثلك

***

والآن نقول اننا تلقينا كتابا يتحدانا صاحبه !!!!! أن ننقد قصيدة للعقاد سماها (الخمرة الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بشهادة (مين ومين ومين) الخ الخ

نحن دائما لا نضرب الا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد المخنس الذى نراه فى الجرائد مما ليس فيه الا الثرثرة ولا تقدير له الا بقولهم أربعة أعمدة أو خمسة أعمدة . . . . ومن أجل ذلك سررنا بهذا الكتاب الذى تلقيناه وسنأتى بقصيدة العقاد هذه بيتا بيتا ليرى بعينى رأسه و بكل أعين الناس انه (فالصو) من اوله الى آخره وأنه لا يزيد عندنا عن حبة من القمح رأت حجر الطاحون ساكتا هادئا متواضعا فجاءت تظهر سفهها وطيشها وتتهمه بالبرودة والجمود وتقول له انها من قمح استراليا . . . . ثم . . . ثم دار الحجر

فى صفحة ٧٤ من يقظة الصباح !!! « الخمر الالهية . على طريقة ابن الفارض »

ماهى طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد فى هذا كما هو شأنه دائما ؟ الخمر فى لغة السادة الصوفية « شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار الاسماء الجمالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الاعيان الكونية »

افكذلك عاين العقـاد وشرب وانجذب ! أم نظم قصيدته الملفقة فى خمرة بار من البارات التى يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيها ؟ سترى

ثم أن ابن الفارض ليس له فى الخمر غير قصيدة واحـدة هى الميمية المشهورة ثم أبيات افتتح بها تائيته الكبرى . وما عداهما فلم يذكرها الا فى ثلاثة أو أربعة أبيات كل بيت فى قصيدة وهذه ابيات من الميمية يتطهر بها القارىء قبل أن نخوض فى رجس العقاد ويتنشق أنفاس السماء قبل أن ياخذه غبار الأرض

قال سلطان العاشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها فى الحقيقة إلا اسم

وان خطرت يوما على خاطر امرىء أقامت به الأفراح وارتحل الهم
ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها عليلا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو خضبت من كاسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم
يقولون لى صفها فانت بوصفها خبير ، أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

ويجب أن يرجع القارىء الى شرح الشيخ النابلسى لديوان ابن الفارض ليرى كيف يفسرون معانى الخمر وأوصافها « بما أدار الله تعالى على البابهم من المعرفة او من الشوق والمحبة » وهو أمر بينه وبين العقاد وامثاله ما بين الانسان والقرد

وقال « صاحب مرحاضه » . . . .

(عقود الدوالى أنت والخمر أشباه فلله ما أسنى حلاك وأحلاه)

ان أراد ان تأثير العناقيد يشبه تأثير الخمر على التوهم فهو من قول ابن الفارض : ولو طرحوا فى فىء حائط كرمها » الخ وقد ورد فى هذا المعنى شعر كثير . وان أراد أن العناقيد هى والخمر اشباه فى الشكل أو المعنى فليس كذلك . والحقيقة انه سرق هذا المعنى من (حديث القمر) ولم يحسن سبكه وهو هناك بهذا النص : يتخيلها (أى الآمال) ابتسامات من السعادة كما يرى المدمن فى عناقيد الكرم سحابة من الخمر » . فانظر اين هذا الرصف من ذاك واين الدقة من الغموض « وان الذباب ليقع على الزهر كما يقع النحل ليجنى العسل ، وانه ليطن فى الروض كما تغرد الطيور لترقيص قلوبها الصغيرة . ثم يطير عن الزهرة ذبابا كما وقع ، ويسكت ذبابا كما طن ، وكيفما نظرت اليه لاتراه الا ذبابا . ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء . . . . » (١)

وهذا هو وصف العقاد بعينه فى كل سرقاته . وقد طبع حديث القمر فى سنة ١٩١٢ قبل أن تظهر (يقظة الصباح) .

وقول العقاد (ما اسنى حلاك واحلاه) خطأ لان الحلى جمع حلية فيجب أن يعود

---

١ – اشارة الى قول العقاد « مرحاضه أفخر أثوابنا » وقد مر فى العدد الثالث وقد كان العرب يلقبون شعراءهم بكلمات قالوها فليكن لقب العقاد منذ الآن : صاحب مرحاضه . . . .

عليها الضمير مؤنثا فيقول واحلاها . وانظر اين معنى الحلاوة من معنى سنا الحلية الا أن يكون من قول نساء العامة لكل جميل (يا حلاوة)

(لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد فصدر الدوالى مشرق النحر تياه)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيقى فى مثل هذا . قال ابن الرومي فى وصف العنب

لو أنه - يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

وقال فى البلح : فتشققت الاكف فخلت فيها لآلىء فى السلوك منظمات

فهو لا يجعلها لآلىء حتي يوطىء لها توطئة وقوله « صدر الدوالى مشرق النحر » كلام غير مستقيم لان العناقيد على صدر الدالية . فمن أين لصدرها نحر ؟ (١)

كأن حبوب الكرم بين سلوكها كؤوس من البلور قد صاغها الله

سرقه من ابن الرومي فى وصف العنب الرازقى (الأبيض الطويل)

ورازقى مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

يريد ابن الرومى الشبه فى خزن الضوء وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً) وثرثر بقوله صاغها الله . ثم الحبوب لا تكون (بين) سلوك العناقيد بل السلوك هى التى تكون بين الحبوب لانها تحملها اى ليست من معامل الزجاج . . . .

(كأنى أرى بالعين ضمن قشوره سلافة جام سوف تجنى حمياه)

هذا تكرار للبيت الاول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخيف فبماذا يرى ؟ وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بان تكون لغة كناس من كناسى الطرق . « وسوف

---

(١) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة فى فهم الشعر العربى وهذا يدل على انه غير ناضج لا بيانا ولا شاعرية . ونظن انه سرق ما جعله للكرم نحرا من قول ابن الرومى

بنت كرم تديرها ذات كرم موقد النحر مثمر الأعناب

حصرم من زبرجد بين ينع من يواقيت جمرها غير خابى

وظن لسوء فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومى يريد بقوله (ذات كرم) الخ ان الخمر تديرها امرأة غنجة كثيرة الحلى كأنها فى حلاها شجرة كرم بعناقيدها فالحصرم فيها زبرجد والناضج يواقيت . وفى ديوان ابن الرومى (بين نبع) وهو تحريف وقع فيه النساخ والطابع ايضا

تجنى حمياه ، الطامة الكبرى ، فكيف ، يرى بالعين سلافة ، ثم يقول سوف تجنى، وسوف للاجل البعيد . وهل يقال جنيت الخمر وحمياه حشو لا موضع له البتة فكأنه قال أرى بالعين سلافة كأس سوف تجنى سلافة هذه الكأس . وانظر اى خلط هذا ؟

(ويسعى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواه)

اليها يعنى الى الخمر التى يراها بالعين سوف تجنى . . . فالرجل فى منام اذن، وليس يرى بالعين لانه مع ان هذه الخمر ، سوف تجنى ، فقد رأى الشاربين يسعون اليها . . .

وصفة المجلس فى شعر هذا الدعي الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامى ساقط - هل يهتم «بالعشب الأثيث والأمواه» ، الاحمار يحلم بالبرسيم ونحوه ، او من فيه روح حمار ؟

(كليلتنا والدهر وسنان غافل وقد أيقظ العود الصفاء فلباه)

اذا كان الدهر وسنان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وسنان وأيقظ . هذا هو بديع العقاد كأسخف ما يجيء به مبتدىء . « وايقظ العود الصفاء » هذه كلمة من الشعر الذى كان قبل سبعين سنة حين كانت الفاظ الشعر واستعاراته مثل ايقظ الصفاء ودعا الهناء ولبى الأنس الخ، وما دمنا فى البديع فهل أيقظ يناسبها لبى؟ ام هذه تناسب دعا ؟ هذه هى صناعة العقاد ليس فيها الا كلام عامى منظوم، ومع ذلك لا يخجل ان يجعلها (الخمر الا لهية) وتبلغ به الوقاحة ان يقول انها على طريقه ابن الفارض -

أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد ، انه كله فى ايقظ العود الصفاء فانظر كيف يصنع الشاعر فى الابتكار لمعنى الطرب فى مثل هذا المجلس واقرأ قول مسلم بن الوليد

سلكنا سبيلا للصبى اجنبية ضمنا لها ان نعصى اللوم والزجرا
بركب خفاف من زجاج كأنها ثدى عذارى لم تخف من يد كسرا
علينا من التوقير والحلم عارض اذا نحن شئنا أمطر العزف والزمرا

ومسلم نهج له ابو نواس هذا المعنى فى قوله

لا أرحل الراح إلا أن يكون لها حاد بمنتخل الأشعار غريد

فجاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وسمائها على أبدع ما تبتكر القريحة وهكذا يكون الشاعر فى توليده وابتكاره ان كان شاعرا . فأما ان كان عامياً ملفقا

لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سلخاً ومسخاً كأنه (عطا شجى وابور) يقدم خرقته لامرأة حسناء تمسح بها عرق الخجل من وقاحته وسوء أدبه ....

لاينبغى ان يجىء الشاعر بمعنى متداول او مبتذل الا اذا وضع له تعليلا أو زاد فيه زيادة او جعل له سياقا ومعرضا او نحو ذلك ليكون هو فى معنى غيره، فكأنه معناه هو . وأى شىء فى « أيقظ العود الصفاء فلباه » غير استعارة النوم للصفاء والايقاظ للعود كأن العود خادم فى (لو كاندة نوم). ... انظر ياعقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتى بشىء جديد من معانى الشعر فى طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات فى مجلس الراح وهو يذكر نديمه عليها بعد أن طرب وشرب. قال

فلما مات من طرب وسكر ... رددت حياته بالمسمعات

فقام يجر عطفيه خمارا ... وكان قريب عهد بالممات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر) وجعل فيه حياة من الموت الذى فى الخمر فكأن فى مجلسه مايحيى ويميت. هكذا فاصنع ايها الحمار الذى لايتلهف فى مجلس الطرب الا على « عشب أثيث وأمواه » دون الريحان وأنواع الزهر واصناف الطيب وبجالى الروض ومعارضه المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساقى علينا كأنها ... مباسم ثغر والحباب ثناياه)

ان اراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الخمر ذات الحباب لا تكون بيضاء . فان أراد جمع مبسم أى مكان الابتسام يريد به الشفتين الحمراوين فكم مبسما للثغر ياترى : ؟ لعلها مباسم زنجية من أسوانها شفتان غليظتان كشفرى البعير، ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو قسمتا شفاها رقيقة لكانتا عشرين أو ثلاثين، ومن ثم يكون لهذا الثغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل . . . وهذا البيت سرقه القعاد من شوقى فى قصيدته المشهورة (حف كأسها الحبيب) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جمانه الشنب

ومع ان طبعي أنا لا يسيغ مثل هذه التشبيهات ويراها كلها فساداً فى الفروق ، فانى أرى فى بيت شوقى دقة غفل عنها العقاد لانه جاهل بالعربية ليست له قريحة بيانية البتة. فليس فى كتابته ولا شعره إلا الخبط لبط ... شوقى يقيد الفم بانه فم الحبيب، والعقاد أراد مطلق ثغر يعنى ولو ثغر شوهاء فوهاء ... ثم شوقى يذكر فم الحبيب والثنايا والريق وهذا كله حلو حلو جميل جميل و يضيف الى ذلك كله كلمة (جلا) وهى وحدها شعر فى ذكرها مع ثنايا الحبيب. والعقاد غفل مغفل ليس فى شعره الا ثغر نكرة - بدليل التنوين - وبثاياه كيفما كانت ولو كانت مصابة بالقلح و و .. قبحه الله من شاعر سخيف ، كادت والله نفسى تثب الى حلقى... وما منعنى القىء من شعر هذا العقاد إلا انى تذكرت الآن هذين البيتين فى ثغر الحبيب ودره وعقيقه ولا أدرى لمن هما، ولكنهما من شعر المتأخرين الجامدين فى رأى المجددين المغفلين

يا در ثغر الحبيب من نظمك ومن بختم العقيق قد ختمك
أصبح من قد رآك مبتسما يميل شكراً فكيف من لثمك ؟

تحتاج يا عقاد أن تخلق مرة أخرى من أب آخر ... لتستطيع أن تقول مثل هذا.

ونعود الى تشبيه الحباب بثنايا (الحبيب) الحبيب خاصة - فأصله أنهم شبهوا الحباب باللؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواس « حصباء در على أرض من الذهب » وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها توليدا اتساعا فى فنون البيان ومن ذلك قول البحترى يصف الخمر :

وفى القهوة أشكال من الساقى وألوان
حباب مثل ما يضحك عنه وهو جذلان
وسكر مثل ما أسكر بطرف منه وسنان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا فى التشبيه كقول ابن وكيع:

حملت كفه الى شفتيه كأسه والظلام مرخى الازار
فالتقى لؤلؤ الحباب وثغر وعقيقان من فم وعقار

وابدع ابن النبيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا فى قوله :

فانهض الى ذوب ياقوت لهاحبب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

ومن هنا أخذ شوقى فجمع فى التشبيه كما رأيت ، وعلى شوقى تطفل العقاد، والتفنن فى وصف الحبب كثير ولكننا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذى (هببه) هذا العقاد ....

(جرت فى صفاء الدمع وهى دواء فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه)

سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز ورواه الثعالبى لأبى نواس :

وليس للهم الا شرب صافية كأنها دمعة من عين مهجور

فقيد الدمع بأنه من عين مهجور ، وصاحب مر حاضه ، أطلق فجعلها ككل دمع وان كان دمع مصاب بالرمد الصديدى . . . . قبح الله هذا الاحمق لايزال شعره كالملح الانجليزى أو زيت الخروع . ثم انظر واعجب من غباوة العقاد فقد فهم من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر فى صفائها بالدمع فسرق على هذا الفهم وهذا تشبيه صبيان لا تشبيه مثل ابن المعتز وانما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمعة المهجور حين يبكى دماً لا حين يبكى دمعا . أفهمت ياعقاد . ألا تقر أنك فى حاجة الى أن تكون تلميذاً لأديب، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أديبا فى يوم ما . . ؟

وتأمل مايشعرك قول ابن المعتز (كأنها دمعة من عين مهجور) ومايثير فى نفسك من رقة العاطفة وتحزنها واهتياجها الخ وهذا كله خلا منه بيت العقاد فجاء قشرا لا لب فيه وزعمه أنها دواء الدمع مضحك لان ابن المعتز جعلها دواء الهم وليس كل هم يجىء بالدمع الا ان كان هم امرأة تبكى لكل شىء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر « دواء الدمع » فينبغى أن يكون من أسمائها عند المجددين (ششم وقطرة) .... ومحلول بوريك وسليمانى . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله ان كانوا من هذا الطراز

انظر كيف يكون الشعر فى وصف الخمر على أنها دواء الدمع فى قول السرى أو السلامى لا أدرى :

بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا كأننا فى حجور الروض أيتام

هكذا والافاسكت ويحك

(تنير فلولا ان يسيل رحيقها تعلت لظى اذكى النسيم شظاياه)

يريد فلولا ان سال رحيقها فاستعمال (يسيل) بصيغة المضارع خطأ لانه لا يفهم منه بهذا التركيب الاأنه لا يقول إنها لظى خشية أن يسيل رحيقها . والمعنى مسروق من قول مسلم بن الوليد

وكأنها والماء يطلب حلها لهب تلاطمه الصبا فى مقبس

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها لهب ولم يحسن أن يقول مثل هذه العبارة البديعة (تلاطمه الصبا) فقال أذكى النسيم شظاياه ... الاذكاء معناه الزيادة تقول أذكيت النار أى زدتها وقودا فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار أى الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير فهم من معنى أذكى ضرب وفرق ونحوهما

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة فى جعله الماء يطلب حلها حين يمتزج بها وهى فى نفسها لهب يتلاطم مع نسيم الصبا ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا

(يكاد اذا طاف الغلام بجامها يرفرف حولها الفراش ويغشاه)

جعل مجلس الراح فى غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكر بالذباب وتهافته على كأس الشراب لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعني بعد مسلوخ من قول مسلم :

---

(١) لا تنسى أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلا وقصيدة العقاد ليس فيها ما يدل على أن مجلسه كان بليل ولا بسحرة فهذه احدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد أكثروا فى تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التى تشب ليسرى الضالون فى الليل على ضوئها فيهتدوا بها الى القرى والضيافة والعمران . كما شبهوها بالمصابيح واللهب وشعرهم كثير فى هذه المعانى وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكر أحد منهم هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقا وبصرا وليس يغيب عنهم أن الكأس التى «يرفرف حولها الفراش ويغشاها» هى أخت الكأس التى يقع فيها الذباب لان

كأن نارا بها محرسة نها بها تارة ونغشاها

شبهها بالنار المحركة التى زادت وقودا فيرتد عنها المصطلى تارة ويدنو منها تارة، فخطر للعقاد أنه لو كان الناس فراشا لكان المعنى أحسن فسخهم فراشا .

ولكن انظر كيف يقول الشاعر الحقيقي فى مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة البارعة التى لاتذكر النفس الا بالصور العالية الشريفة فيقول فى وجه ممدوحه

ذو غرة كجبين الشمس لو برقت فى صفحة الليل للحرباء لانتصبا (١)

ويقول « صاحب مرحاضه » . . .

(لها فى يمين الشاربين توهج اذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه)

لماذا جعلها فى اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولون باليمين واليسار ؟ ثم هذا المعنى كثير ولكن الشعر كل الشعر فى تعليله وكيفية وضعه وبيت العقاد من قول مسلم بن الوليد

تلتهب الكف من تلهبها وتحسر العين ان تقصاها

قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هى مادامت نارا أو شعاعا محرقا فيكون أثر توهجها فى الكف لافى القلب . ولكن لعل العقاد سرق فيما يسرق سالكا مده من يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه . . . ومسلم يزيد فى بيته ان العين تحسر عن تقصيها كما تحسر عن الشعاع فى شمسه . وانظر كيف يتظرف الشاعر فى ذكر توهج الراح وتلهبها على يد الساقى الجميل اذ يقول :

لاتترك القدح الملآن فى يده إنى أخاف عليه من تلهبه

وقول العقاد (إذا ما خبا قلب من الحزن اذكاه) من أبرد الكلام وأسخفه

الفراش لا يرتد عن الضوء دون أن يخالطه و يقع فيه . وذكر الفراش على الكأس فى مجلس الشراب لا يكون الا من عامى سوقى بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه ان كان العقاد هو الذى جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه وعامية طبعه وان كان سرقه بنصه فهذه أدهى وأمر لانها لصوصية وفساد ذوق

(١) الحرباء دائما يطلب الشمس ويتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فاذا طلعت الشمس اشتغل بها

لان أذكاه معناه أضرمه وهيجه وما الحزن الا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد قال ابو فراس

اذا مابرد القلب فما تسخنه النار

و يقول « صاحب مرحاضه » . . .

(تلوح كماء المهل أما مذاقها فمن سلسبيل الخلد فى طيب سقياه)

قال فى الشرح ماء المهل شراب أهل جهنم . . . . فتأمل هذا الذوق ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله .

وهذا المغفل قد نسى من أول بيت فى قصيدته انها « الخمر الالهية » وأنه يقول « على طريقة ابن الفارض » فذهب يسرق فى كل بيت ممن لم يقولوا على هذه الطريقة ولاحرفا واحدا كما رأيت . وهل الخمر الالهية « تلوح كشراب اهل جهنم » ؟ أخزاك الله (ياصاحب مرحاضه) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت المرحاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (فى طيب سقياه) من الكلام الذى لايلتئم لان المذاق فى اللسان وحده فالصواب مذاقها فى طيب طعمه ، وبين الطعم والسقيا من البعد مابين العقاد والشعر . هذا نصف القصيدة ، وكل مامر بك فى اثنى عشر بيتا فقط من شعر (صاحب مرحاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرحاضه) . . . . . ؟

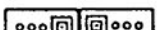

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاشتراكية

أقوم بحث فى حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها